

[illegible]

(۱۱) قال المصنف: اری میں التصوف سر میں
اقال اللہ میں عجب عمرا
فقد لم راصد بالحدود ؟
كلوا اكل الہائم رقصی ؟

Encyclopedia Britannica 24: 31 (v) 1118 & 8 Louis Massingmon: Encyclopedia of Island^(c)

(٤) نفس المصدر - (٥) 681 Encyclopedia of Islam ١١4 (٦) تاريخ العرب للزبيدي ج ١: ١٦٩

(٧) لسان العرب لابن منظور ١١ ج : ١٠٠ (٨) القاموس للفيروز ابي ج : ١ ص ٧٧ (٩) تاريخ الخواري للزبيدي

ج ٦ ص ١٧ (١٠) بروكلمان (الترجمة العربية) ص ٨٤ (١١) تاريخ العرب (الترجمة) فيليب هنري: ص ١٠٤

على مذهب الصابئة ، وقد تهرمين تصوف بعبادة الله أو عبادة الله ، وصفت له كتابات الاولياء ، وما زال قبره يفتاد حتى اليوم . وكان الناس يؤمنون القوي يردون ان الصلوة عنده تخلص من المرض . وقد تطورت التصوف الى مذهب الاتصال بالله ، قاله هذا الجبار السمردي وليس من سبيل الى الله الا الحبيب ، فالحبيب هو صهر الدول عند الصوفيين^(١١) وقد كان زنون المصري زعيم مذهب الاتصال بالله ، وهو الذي ادخل الى الصوفية كلاً العالم ، وصاحب الفكرة القائلة ان حقيقة معرفة الله لا يتوصل اليها الا بالوجد^(١٢)

ويرى الدكتور حتى ان هناك اوجهاً كثيرة للتعبير بين الصوف والفارسية ، فبما ان الزاهد القاعة على الرقتال والتأمل تشبه الحال عند سالك الصائري ، وكذلك فكرة لبس الصوف وفكرة التبتل والفردية ، والتأملات والاضطراب الى الخلو كما هو الحال في الصوامع السريانية ، اما نظام الطريقة نوريته نظام الرهبنة في المسيحية ، وكذلك صلات الذكر فاما تتم عن اصل مسيحي ، وتثير التقاليد الصوفية المختصة بالآخرة وبالبيع الدجال الى اثر مقبولين اصلهم من الصائري او من اليهود^(١٣)

وفي السالك من الصوفية من يقول باللول ، وان الباري يحل في الاحتياض ، وأنه جائز ان يحل في انسان اوسبع او غير ذلك من الاشخاص ، واصحاب هذه المقالة اذا زادوا شيئاً ليحسنونه قالوا : لا ندرى لعل الله حال فيهم ، وما لوالا الى اطراح اشرايع وزعموا انه الان ليس عليه فرض ولا يلزمه عبارة اذا وصل الى معبوده^(١٤)

وقد ظن الصوف في مراحله الاولى في دائرة اهل السنة الذين كانوا من الملة بحيث تقاضوا عن سطوات الشراء واصحاب الموجد المحمدين ، وكان المتكلمون راصل الصوف متفقين تمام الاتفاق بان الله لا فاعل في كل شيء الله^(١٥) فغير ان الفكرة زادوا فقالوا : انه لا موجود من كل شيء الا الله ، ومن هذا المنزع نشأ مذهب في وصية الدهود خالف مذهب جمهور المسلمين ، وكان من شأنه ان جعل الله حياً لا لا حقيقة كما وحد بين ذات الانسان وذات الله^(١٦) وهم ما في النفس المحبة لله التي تسواينا الى الله وليست السعادة معرفة ولا اعادة انما هو اتحاد بالمحسوب ، وقد انكر المصنفون العالم وشخصية الانسان لانهم قالوا لا موجود الا الله ، والله يجب الانسان ويعتقد النور في قلبه^(١٧)

(١١) Encyclopedia of America : Sufism (٢) المصري : مروج الذهب ومعارف المصريح : ٤٠١
(١٢) تاريخ العرب : مطول (الترجمة لبريت) ص ١٤٥ ، ص ١٤٥ (٤) الاثري : مقالات الاسلاميين اختلاف المصلين ص ١٥٠
(١٥) تاريخ الفلسفة في اسلام : دي بير ص ٨٩ (٦) سفضل القول في ذلك عند الحديث عن اشعر الصوفي
(١٧) دي بير ص ٩١

رقدوى ابو العلاء المرقى لأحمد الغالين بالمولوية، فكان رسالة الغفران - هذين البتين !
 رأيت ربى متى بد كلة في سورة يحيى فلدت النظر
 فقلت: هل في انصافنا طهر؟ فقال: هيراء، يمنع الخد-

وقد تطورت فكرة الصوف على جنب البنداري الذي كان تلميذاً لمعرف الكرخي، وكان المصنف شخصاً القوي
 تلميذاً للجني، وطريقة المصنف تشبه طريقة المقتلة من جميع الوجوه، فقد اخذ عنهم فكرة تنزيه الذات
 الالهية عن جميع الصفات الانسانية وجميع صفات الحوادث، كما اخذ عنهم نسبة الذات الالهية باسم
 الحق، ولكنه كان يميز بين الصوت والناشوت في الذات الالهية، وان الله يحكم بين الناس بصوته بالحق
 وانه قبل ايجاده الحق ظهر اولاً في صورة الله (١) وكانت اقوى الاقوال التي ادين بها المصنف في مكانته
 « انهم وحيوا في بيته كتاباً فيه ان الله اذا عجز عن الجمع فليعد الى غرفة من بيته، فيطير
 ويظهرها ويظهر بها، ويكون كمن جمع البيت (٢) وكان المصنف يقول « انا الحق »

وقد حاول فريق من المصوفين ان يثبتوا علماً تتوحد بها بين عالم الوجود وعالم الارواح ليسرته بعالم
 المثال فتناهي بقوله تعالى « فمثل لا يسراً سويّاً » (٣)

والمصوفون يعبدون الله اربحونة لا طمعاً في الجنة، ولا خوفاً من عذابه، وفي ذلك يقول علي بن ابي طالب الموفى
 عليه هـ « اللهم ان كنت تعلم اني اعبدك خوفاً من نارك فذبني، وان كنت تعلم اني اعبدك حباً فاحسن
 وان كنت تعلم اني اعبدك حباً من لك وشوقاً اليك والى وجهك الكريم فاجنبيه واغلب بي ما مضت » (٤)
 وحكى عن جدهم انه كان يقول في تسبيحه سبحانك سبحاني، ففانك ففرائد (٥)

وانشد لرجل من الصيرية : اعجبني امنا لصورن الليلي فعبت اخيراً سكينه فارة (٦)
 وقد تعدت المنظمات الصوفية فيما بعد، واولها القادرية المنسوبة الى عبدالقادر الجيلاني الفارسي الذي
 لمع في بغداد، وينسب نسب الى الحسين بن علي كما يقول، وصداصاحب المقامات واكرامات وشيخ المناقب، وقد
 اخذ عن التبريزي ومات وفاته سنة (٧) ومن المنظمات الاخرى اصحاب الطريقة الرفاعية المنسوبة
 الى احمد الرفاعي واعضاؤها يتقدمون بالتبذير والحب والحمية والزجاج او حرق اجسامهم بالمسكات والكلية
 ثم الطريقة المولوية لجلال الدين الرومي، وقد وجد سماع الموسيقى جزءاً من طريقته

(١) رسالة الغفران (تحقيق ابنة السالك) ص ٩٦ (٢) ادم قد ج ٢ ص ٢١

(٣) شخصيات قلعة في السند (مصر كبرياء) ص ٧٦ والطبقات الكبرى للذري ج ١ ص ١٢

(٤) المناري : الادب الدرعي في تراجم ائمة الصوفية ص ١٥ (٥) تن ج ٢ ص ١٥٦ (٦) رسالة الغفران ص ٩٦

(٧) رسالة الغفران ص ٩٧ (٨) نوات الوفاء : تصحيح الكتبي ج ٢ ص ٢٠٠

وفي العصر الحاضر نجد الطريقة الشاذلية والنوسية والبدوية في شمال إفريقيا (١)
وقد أخذت هذه الطوائف الصوفية تفتق لهبة كبرى على كرامات الأولياء ، والكثيرة من ظهورهم خارجهم
على يد الوالي مترون بالطاقة بدورهم نبوة ، وتكون للدلالة على صدقه وفضله (٢) ويستشهدون على ذلك
بما ورد في القرآن ، كقصة إلهي الكهنة واقامتهم ثمانية سنة احياء ، وحسن مريم من عيسى ووجود
الرزق عندها ، وتساوط الرطب على ، واحضار عرش بلقيس في طرفة عين الإسكندرية (٣) ، كما قاموا
بالرد على العقيدة الذين اكثروا الكرامات ، وقد قاموا بتعداد بعض معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم
له القدر ، ونوع الماء بين يديه اصابه فترب لهكر كلهم ، ومن اليه الجزع الذي كان يخطب عليه لما فارقه للبر
حتى سمع الناس منه كصوت الابن فضمه اليه حتى سكن ، وسلم بنجر والمجر عليه ، وكلمة الذراع وكلمة اليه
البيرة ، وسلمت عليه الغزاة ، وسجد له الذئب بالنوبة ، ودعا لعل يذهب الحر والبرد فعمل برهما
بعد ، ودعا لدين عباس بالفتنة والدين فصار مجراً (٤)

ومن كرامات الأولياء ان هبذا ابن ابي طالب متى في الهوار ، وان العسفة وما فيها من الطعام سبت بين
يدي سليمان وابي الدردار ، وان ابا عبيد اليسرى قد ماتت رابته فدعا الله ان يحياها فاحياها
وان مخرج الدمايين احضرت له فراخ متوية فقال لا طيرى فطارت ، وان الكلب الذي وضع
يده على عظم رجاجة اكلا وقال لا قوم باذن الله فقامت (٥) وقال ابن عربي كنت انا
وصاحب لي نير على ساحل المحيط فأتيت رجلاً وضع حصيراً في الهوار ودفع لي حصيراً فرفقت تحت
فاذا صر الحفر (٦) ومن الفلاسفة المسلمين الذين اتجهوا الى الصوف الفارابي (٧) الذي عاش في كنف
سيف الدولة في زوى الصوف ولحق منه كل عقادة وأخبار ، وكذلك الغزالي (٨) الذي تناول ما وضعه
السامية والكرامية ، وصرفنا ان تخالفان العقيدة فسطح ووضع على اساس واسع فصار
الصوف عند جمهور المسلمين منذ ايام الغزالي دعامة يقو على صرح العلم وتاجاً على منزهة (٩)
ولم يقتصر الصوف على الدين والطفة فحب ، بل اتخذ له مجازاً آخر هو مجال الشرف ، ليس
في الأرب العربي فقط بل في آداب الفرس والترك بالاصالة الى الأرب العربي كما سيأتي (١٠)

(١) حتى ص ٥٤ (٢) الكواكب الدرية ص ١ (٣) نفس المصدر ص ١ (٤) نفس المصدر ص ١
(٥) المتأخر ص ١ (٦) نفس المصدر ص ١ (٧) اجناد العلماء باخبار الحكماء للنفط ص ١
(٨) تاريخ الفلسفة الإسلامية (د. بوري) ص ١ (٩) قصة صبي تقيطان لابن طفيل شرحها محمد بن ص ١
(١٠) حتى : تاريخ العرب وطول ص ٤٤

النور والتصوف

لوثقنا النور العربي منذ اقدم عصوره ، فاننا لم نستطع ان نجد فيه - في العصر الجاهلي - ما يميز عن روح صوفية ، او ما يميز عن زهد وانصرف عن الحياة الدنيا وما فيها من متعة ، ولكن حين ظهر الاسلام ، ووردت في القرآن آيات كثيرة تحث على الزهد والتقوى وتدعو الناس الى انقطاعهم عن الحياة الدنية ، حينئذ تأثر الفكر بهذا الاتجاه ، ولكن تأثره كان محدوداً ، فقد شعر هناك بناتج نجد ان الشاعر قد انصرف الى الدفاع عن كيان الاسلام ضد هجومه اللاداعي ، وبيان ما في الاسلام من محاسن وصفات ، ولكن الى جانب هذا نجد ان الشعراء الذين كانوا يتفنون بالحزنة والدعوة الى شرباً قد خففت اصواتهم ، وذلك للأثر القوي الذي تركه الاسلام .

واذا كان عصر الدولة الأموية ، قد ظهرت فيه أحداثٌ جديدة كان لا الأثر القوي في الاتجاهات الأدبية ، سيما الشعر ، فالواقع ان هذا العصر بالنسبة الى الأدب لم يكن الاستعداداً للعصر الجاهلي فقد عاد الشعراء يتفنون بالحزنة ، ويتفنون بالدعوة الى الله ، وعادت روح الصبغة القبلية التي أخذت نازحاً موقفاً ، تتأرجح من جديد ، وتسير السمار ، وهذا ما يفسر لنا المتغيرات والتناقضات التي قامت بين جرير والغزيرة والاعطل والراعي ، وغيرهم من شعراء ذلك العصر ، والذي نريد ان نقوله هنا انه في هذا العصر لم يظهر شعرٌ صوفي ، ولم يقيم من الشعراء من يدعو الى ان يتهاى الانسان للوم الآخر ، فيصرف عن الدنيا وملاذاتها ، ويكف عن التمتع بالزهد في انقطاعه - ملذات جديدة كما صورها القرآن في كثير من الآيات « وزودناهم بمجر عين كما شاك الاولئك الكفون » « لكلامهم منهم يومئذ شأن يغنيهم ، وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة » « فاما من ادق كتابه يمينه فيقول هادئ اقرروا كتابي ، اني ظننت اني ملوك صابغ زهو زينة احبته ، فحينئذ عليه تطول رائحة »^(١) اما العصر العباسي ، فهو يختلف كل الاختلاف عما سبقه من العصور ، فالحياة الاجتماعية أخذت شكلاً جديداً ، والحياة الفكرية بعد ان تأثرت بمضامين الاسلام الاخرى ، اتخذت لآ اتجاهات جديدة فكان لابد ان تؤثر هذه الاوضاع الجديدة في الأدب ، سيما الشعر ، لانه المرأة التي تنعكس فيها الحياة بما فيها من خير وشر ، وهكذا انما نستطيع ان تبين هذه الاتجاهات الجديدة من دراسة للأدب سيما الشعر . ولعل أبرز مظاهر الحياة الجديدة ، هذا الانعكاس في الزحف ، والدفاع في الملذات ، بل كل لم يكن مألوفاً من قبل ، بل أصبح طريقاً من الشعراء يدعوهم الى هذه الحياة الجديدة ، وانغماسهم في الفسق ، وعلى رأس اولئك شعراء ابونواس وشبل

بن برد وداية بن الجباب والمخينة بن الصالح وضاهم ، بل كان ابو القاصية من حدة ذلك السواد
في سهل حياته ، ثم انصرف في الحقبة الاخرى من عمره الى الدعوة الى الزهد والتقشف ، حتى شك
اولئك الذين يتبعون امر الزنادقة ان شكوا في صحة دعواه^(١) واسرافه في الدعوة^(٢) الى الزهد والتقشف
بل حتى ابو نواس الذي تزعم مدح الفراء قد ندم في احاديث ايامه على ما اقترنه من اتنام في
صباة وعمره الاول :

دبت في السقام غداً وعدنا داراي امرت عضواً فعضوا
ذهبت جدتي لطاعة نفسي وتذكرت طاعة الله رضوا
لهف نفسي على ليل واياي م تجاوزتهن لعباً ولهوا
قد اسأنا كل الاساءة فاللهم ~~صغرت~~ عنا وغفراً وعضوا
وهو يؤكد هذا المعنى في قصيدة التي ستمت بطوار الديار ، ثم عرج على مدح الخاموس ، وبعد
ذلك اخذ يعرف بذنوبه وآثامه التي كانت عصاة لطيف الشبان ولهوه :
ولقد نهزت مع الفواة بدلوهم واسمت سرح اللهو حيث اسامر
ولمجت ما بلغ امرؤ بهيابه خازناً عصاة كل زالك اتام
والواقع ان كلمة الزهد ليست مرادفة للتصوف في جميع الاحوال^(٣) ذلك ان الزهد قد دلل
له دوافع مختلفة من دون ان يرتبط بافطار او لفظة خاصة ، فالعز في حين مال الى الزهد لم يكن الدين
ولا آراء المصوفين هي التي دفعته الى هذا الزهد ، وانما هو افطاره الخاصة والآخرة المستقلة نظراً
الى الامور بنظر يختلف عن غيره ، وزهده يختلف عن غيره فهو يفر بلطفه الكائنات الحية جميعاً
سواء اصناف الحيوان ، ~~مختلج~~ ان تسرع البرغوث ابر من العطار درهم لمحتاج من بين الانسان :
تسرع كثر برغوثاً ظفرت به ابر من درهم تقطيه محتاجاً
لا فرق بين الدلالة الجوهرة اطلقه وجوه كندة اسي يقيد الناجا
كلها يتوفى والحياة له صبيحة ويردم ليس لها حالاً
رصد يري ان التسبيح والصلاة والطواف بركة ليست هي الديانة الحقيقية ، انما الديانة
الصحيحة ان يسيطر الانسان على الهامه حين تعرض له :

(١) ما نسب اليه الزنادقة قوله : اذا ما استجرت لملك في بقماتك فخره اراء الدهر ارضه راجع (ابن قتيبة ص ٩٠)
(٢) ردك لان - تاريخ الثعوب الاسدي ج ٢ ص ٤٠ (٣) زكي مبارك - التصوف الاسدي ج ١ ص ١٠٠
P 287
Nicholson : Studies in Islamic

سبح وصل وطف بركة زاراً صبيحاً فلت بناك
عهد الديانة من اذا عرضت له الطاعة لم يلب بالتماسك
وقوله : ما الدين صوم يذبح الصائون له ولا صلاة ولا صوف على أسد
صديري أن الديانة ألا يؤذي الإنسان جاره ، فإن كفر ذلك فلن ينفذ سيرة
إلى البيت الحرام مسلماً :

توصيت يا صغور الله دين علي بين الله مالك دين
تبر إلى البيت الحرام مسلماً ويكفون جارباً رهنين
وكان أبو القاسم يبرع في دتيرة واحدة في الدعوة إلى الله والزهد ، ترك الدنيا وما فيها
مداد وقيم :

بين عين كل عمت هم الموت يدع
فج في نفسه يا مكلف ان كنت تنوح
لنقوت ولله عمت ت ما عمت نوح
وقوله :

وقطعت اصلا صمت ونفقت امانة خفت
وتكلفت من اوجه تبلى وعن صبر سب
وارتاك قبلك في القبول وانت حرة لم تحت
وقوله : حله ما يتفقه لفت ما كثر القوت كن يبرك
الفق فيما جاوز الكفاية من اتق في الله رجاو خافا
وقوله : حب الدنيا نصير الله غداً اليه صير زمن للزوال

وذهب لنا من الفناء إلى المقوى مرة أخرى نلنا تحت عم السند لأن النفس هم باله
وان تحب الرجل الخور الجميل وتصدق فلا بأف من غير حية :

الم بدأ - الشك المامه فالتف بالبالصل هـ
وان رأيت الخور مناة يصلح انه يحفظ من شامة
فقد فلا تدخن بها سوار للونهم زمامه

وتسقت الآن الشاعر صوفي آخر هو الشيخ عبد الرقابي ، فإنه يسلك طريقة أبي العلاء إلى
القاسية ، في الدعوة إلى تهذيب الإنسان للحياة الأخرى ، وان يتقيد في السجود والمذات

« من نعمات نيكسون » ابن تيمية - الشواهد الصالحة

فهو يدعو الى الايمان بالله الباطني والسموي ناهج رسول الذي كانت شريعته اشرف من غيرها شرايع
الملل الاخرى :

آمنت بالله الوجود كله	سواء يفتي وصوبانه لم يزل
فظهر القلب لندسه كونه	متشكلاً كتاباً كما نزل
دارض بهج الانس منجاً	فانه المأمون من ريغ الزلل
ادام شريعة كريمة	مصدراً عن الغيايات التمثل
من احكم اسير لا عن هوى	ومن عداها ضل بالفضول
قد يتعد القتل بانه شرعنا	اشرف حكماً من شرايع الملل (١)

وتكمن من ناحية اخرى في كون بقصة الخضر كغيره من الصوفية الذي يعتقدون انه ما زال على قيد الحياة :

يا جاهد حمله المطوى في القدر - وستر ما ناله موسى مع الخضر
احفظ فتاويله وحضر وانتم ارباباً - من ستر ما اودع القرآن في السور
ولا تكت زاهلاً عن نور شريعة - اقالا الضل في برج من الخضر

هذا ولما اردنا ان نألف مع القضاة التي اتجه بها اصحابنا الى الوفا والزهاد لظال بنا المقام
فقد اسرف الشعراء في العصر العباسي وفي العصور التي تلتها - اقول لقد اسرفوا في الدعوى الى ترك
الدنيا وعطاولا ، وكان ذلك بمثابة برزخ فكل لما كانت عليه الحال آنذاك من استرخاء - ربحون
وكان من رأس اصولك الشعراء ^{المقوية} الخلدج الذي تتر في بغداد ، وكان لقلته اثره بالغ في نشر
مذنبه الصوفي الذي يقول بالخلولية ، ولم يقتصر اثره على الحياة العربية فحب بل اثر في الادب
الفارسي تأثراً بليغاً ، ذلك ان مريديه قد فروا بانفسهم الى خراسان حيث محمد بن الارض لسوء
شرقة من اطلب ثمرات الثقافة الاسلامية ، اعني انهم الصوفي عند الفرس والأتراك (٢) فحب
اشبال سعدى وحافظ وجلال الدين الرومي يتقودون القبة في الادب الفارسي (٣) ونجد ابن الفارض
في الادب العربي يتجه نحو الحب الدلالي في قصائده الصوفية وهو غير الطريقة التي سلكها اصحاب الخلول
ولم يقتصر الامر على مجال الشعر ، بل تعدى ذلك الى الفلسفة ، فقد كان الفارابي القزالي
من مزيج الاتجاه الصوفي في الاسلام

(١) معتود الناس في حقيقة الخلاج ص ٥٥

(٢) برذوخلات ج ٤ ص ٨٥ (٣) فيليب حتى ص ٥٥

المولية في شعر الصوفي

عرضنا في مسهل الحب الى أن فرعية المولية^(١) أن الله حالاً في الكائنات ، وكان على رأس صولاء المذبح^(٢) لما قد نشأ عن قدسهم ذهب جديد في وحدة الوجود خالقة مذهب جهور المسلمين ، وكان من شأنه أن جعل العالم ضياءً بواقعة كما رقد بين ذات الانسان وذات الله ، وبعد أن كان المسلمون يقولون بوحدة الذات الالهية ، قال هذا الفرع بوحدة شاملة لكل شيء كما قالوا بوجود الله في كل شيء ، وبسم هذا الفرع بوجود شيء بعد الذات الالهية سوى ما يختلف في نفسهم من احوال الوجد المستودع دانه المحبة هي التي تسو بالموقوف الى الله والسعادة هي الاتحاد بالمحبوب^(٣) وقد انكر صولاء شريعة الانسان بأن قالوا لا يوجد الا الله والله يجب الانسان ويتذوق النور في قلبه وكل ما في عالمي الجسد والمقول يرد الى مصدر واحد . الانسان في اصله وصفته غفر رباني ، فقد خلق الله آدم على صورته ثم ابرز من ذاته تلك الصورة من جهة الخالد حتى يرى نفسه كمن ينظر في المرآة ، ومن هنا أمر الدولة بالسجود لقدم (٤) الذي تجرد فيه كما قبر في عيسى :

سجنان من اظهر ناسوته سرنا لاصوته التائب
ثم بدا لقلقه ظاهراً في صورة الاكل والرب
يتوكل المذبح ايضاً : انا من صدى ومن صدى انا من روحان هبلنا بدنا
فاذا اصبحت اصبحت انا اذا اصبحت اصبحتنا
ويؤله هذا المعنى طالت آفة من شدة :

انا انت بولس فبجانك سبياني
فتو صيدك تو صيدى وعصيانك عصياني
واسخاطك اسخاطى وغفرانك غفراني
ولم اهلد يارب اذا قيل صوالرائي تم^(٥)

وتجد المذبح هنا يتجه الى شيء جديد وهو تحليل الموترات ، وابعادة مالم تجه الشرائع لغيره ، ذلك ان اتاحة بالحق ، كما يقول عن نفسه ، يتخذ ذريعة لتأجيل من القيود والشرائع التي الزم غيره بالسيرة على وعدم حرلا

(١) 'يكونون صناد' (٢) ربي بور صند (٣) استناداً الى قوله تعالى « واذ لنا للملوك اسيداً مفجداً
الا ابيس اي وسلب (كان في الفريخ) (٤) ديوان المذبح من ماسينوه صناد

وقد قال عنه المعري في رسالة الفقدان د فاما الحياة فما تصور فليس جهله بالمصور ... اراد ان يدير الصلابة على العطب
فانتقل مما تدبير العطب ، وكلم افترى للمواج ، والكذب كثير الخواج ، وجميع ما سيب اليه لم تجر العادة مثله فان المين
الجبريت ، وادصدق به ولو كريت ، وما ينقل عليه انه قال للذي قتلوه « انظنوا انكم اياي تقتلون ؟ انما تقتلون^(١)
بغلة الماداني » ... وان العلة رصيت بها مقول ، ولفظ ان قوماً بغير اشارة ينظرون ، وانهم يفتنون بميت صديقهم^(٢)
ومن اقواله : اتقوا يا ثقات ان في قتل حيائي
وما في في حيائي وما في في حماي^(٣)

ومما سيب الى احد الضميمة قوله في المدح :

عجبي انما لصرحت البالي حبت اخبتنا سكية فارة
وقد سرت فكرة الدول الى امر الفاسي ، من ذلك ما ذكره يعلون من جلال الدين الرومي انه قال :^(٤)
يتبدل الخاب الى طيف كل لحظة
في صورة مختلفة فيسوء الارواح رقيب
تخذ هذا المحبوب في كل حين ثوباً جديداً
ادنة فتى غرائقا ، وادنة رجلا كمتلا
وصور حينا غارضا وسط صلصال الفاعري
الروح غارضا كالفراص في البر
يفتب آتراً من حماق الخاكة الرصافة والصفحة
فيبتدي في العالم
فيصير لوماً يبتدي العالم طوفاناً بعد دعوته
بيناً عيسى سفيحة
ثم يصير ابراهيم يبتدي وسط النيران
الترفتب له برداً وسلاماً الى
يضرب في الارض حينا يبتدي عن نفسه
ثم يصير عيسى يرفع الى السماء فيقتل الله

(١) رسالة الفقدان ص ١١٠ (٢) ديوان الخواج ص ١١٠ (٣) يعلون ص ١١٠ (٤) اشارة الى
قوله تعالى « ويألفوا كوني برداً وسلاماً مع ابراهيم »

وعلى الحجة فهو الذي جاء ، وصعد الذي ذهب
 حتى تبدى آخراً في صورة عربي فملكه العالم
 من هذا الخوّل ، وما حقيقة هذا التحول ؟
 لقد صار ضياء القلوب مضاءً بيد علي
 راضي هذا المحدث نبياً - زحانه
 لا ، بل هو الذي تبدى في باب السبر وضاح « انا الحق »
 وهذا الذي ظن الحق ان الذي رفع عن حقيقة انما هو المصور
 ولكنه لم يكن المصور .

لم يطلع جلال الدين الرومي بالقدرة
 ، لم يطلع . فلا ترجمه باللذان
 فمن يرم عليه بالقدرة فهو كافر
 صريح الذين قضى عليهم الله الناء

واستناداً على هذا فليس المروج هو الذي صاح « انا الحق » ولكنه الله نفسه ، تكلم ببيان المروج الذي فنيته
 به نفسه ، كما تكلم الى موسى بن استبرق ان استبقت نائاً « . وكان فكرة الرجل الاله « كهمي Man » تقدم
 العالم الاسلامي باستثناء بعض قبائل الهند (نايس) ، ومن هنا كانت اللاتمة التي زالت بالمروج
 والحق ان فكرة المول انتشرت بين كثير من الشعراء ، كان بعضهم صوبياً ، والبعض الآخر غير صوفي ، ولما نقولنا ان
 الى ابن عربي الذي يقول : في كل شيء له آية تدل على انه عنده
 وقوله : ان لي رباً كريماً احبه كالذي نعلم او نعتقد
 هو مني وانا منه به ولنا في كل حال احبه
 ومن الشعراء غير الصوفيين الذين ادخلوا فكرة المول في قصائدهم ابن صائغ الاندلسي فهو يقول في مدح المغربي
 اميرها من حيث دار الدنيا زاهمت تحت لابه جبريل
 وقوله : هل برقادة السحج هل بلا ارم ونوح
 هل بها الله ذو المعالي وكل شيء سواه - ع

والاشارة الى قوله تعالى « هذان هما خديج موكب » ان رأيتهم نائاً فقال ربه امثلا اني است نائاً على ما بقيت
 اراهم على ان - هذان هما انما هما نردى بامس . اني انا ربه ناخض نبيته انه بالواد المقدس طوى وانا اخبرته فاستمع لما يروى »

٢٠

ولابد لنا من القول ، قبل ختام البحث ، بأن فكرة المذبح انما انت اقسام الناس الى حد بعيد ، وقد تصدى بعضهم
 بمرآة للتشديد ، فالمعنى يقول « واول رب المذبح ان يكون متعوزاً »^(١) ثم ينفق قول احد هؤلاء المعاصرين
 للمذبح : ان يكون مذهب المذبح صحيحاً ، فانه في حرمته^(٢) الرجاء
 عرضته غنوة بطران بين دار الطهار والتموج
 زعموا الى امرأ وما صح لك هونك^(٣) شيخنا المذبح^(٤)
 ولعلنا انما اضيف الى المذبح عالم تقي ، ونسب اليه من شعر عالم نظم^(٥) ، وسطيع ان تبين ذلك بهذه
 القصيدة التي كانت في الاوثران والتواني ، بلغة اقرب الى العامة ، يصف فيها المذبح قصته ، وتدابيرها ما سيجريه
 في ديوان الطاهر وصنع ابيات منها :

الحمر دني ودره الحمر رجماني ومحب الذر تسبيح رعباني
 لا يشرب الحمر الا من كان يجل^(٦) (كذا) ويطعمه النوم لم تقف له احباني (كذا)
 انا الحين انا المذبح يا فقراء ذوبت سداهم من غظم برهاني
 انا الذي شاع ذكره ببلد املر هلبت قطني تبغواي وايمان

وليس في الامر غمابة فمقتل المذبح بهذه الصورة المثيرة ، لابد ان يترك اثراً قوياً في اذهانه الناس
 ولابد ان يسيب اليه اتباعه من الاقوال والخواص اكثر الكثير ، ولعل هذا تقييد لفكرة المذبح صو
 ما يأتي : « قسم الله جه اجزاء ، وذهب كل واحد من احبابه فضلاً خالصاً منه ، جركوا مع قدر وجدة
 بربه ، ثم ارسى على هذا الجزء اعنية الطبرانية ، والطبيعة البشرية ، والمزاج والنفوس لغير
 على هذا الجزء من الحب التوتي ، جمع تلك العناصر التي اضيفت اليه ، حتى تصير طبيعة الحب حباً
 خالصاً ، واعماله ونظراته مملوءة بالحب ، وتسمى هذه الحال حال « الجمع » ، سوارك عند الذين
 يعتبرون الادراك الباطن او القبيح الظاهر^(٧) ، وذلك موافق لقول المذبح :

بيد بيدك يا سري ونبوات بيدك يا قصدي ومغالب
 يا عني وهدوس يا سدي صم يا منطلق يا مجاراتي وايمان
 يا كل كل يا سمي ويا صبر يا حبة ويا مغيث ويا جزائي^(٨)

ولو اردنا تفصيل القول في شعر المذبح في هذه فكرة المذبح لكان بنا الجهد ، ولكننا نكتفي بهذا الجزء اليسير .

(١) رسالة الغفرات ص ٢٠٠ (٢) حرمته بمعنى زوجة او امرأة (٣) رسالة الغفرات ص ٢٠١

(٤) المصنف ص ٢٠١ (٥) ديوان المذبح ص ٢٠١

الحب الالهي والشعر

لكن اتجه المروج الى مذهب المول في شعره ونثره ، فان ذوقاً آخراً من الصوفية قد اتجهوا نحو « الحب »
 فيما نظرنا ، وعلى رأس هؤلاء ابن الفارض ، الذي تمثل قصائده شعر الصوفي حسن تمثيل وقد أثمر مذهب
 المول حقيقة : « ولي من آثم الروتين اسارة تنزهه عن رأى المول عقيدتي »
 وتقول : « من حدث عن قولي انما هو اراقل ، وحاشا لمن انما في حلت »
 فمن صديق البيتينا انظر صريح لفكرة المول .

فما هو هذا الحب الالهي ؟ إنه ضرب من الذل ينطوي مع جميع الصفات والادوات التي تظم في انفراد
 الغزلون من قبل مع فارق واحد : هو الغرض الذي يحيط بكثير من الأبيات ويدل أن الشاعر يعيد اليه
 ليكون المعنى أشبه باللفظ لا يستطيع ان يعبره كالمعنى ، وما يزيد المعنى عمقاً هو التركيب المعقد
 وكثرة المعاني البديعة التي يلجأ اليها الشاعر ، اما الموسيقى فان الشاعر يلجأ إليها كثيراً
 الاحياء . إن الغرض الذي يقيم اليه ان امر الصوفي يريد ان يتخذ منه ذريعة لتغيير البيت او
 القصيدة على الشكل الذي يراه هو ، كما نرى في الآخرون ، ومن هنا نجد أن الشروح قد تعددت على قصائد
 ابن الفارض سيما تائيد المسماة « نظم المول » ، والتي نطعمها :

مقتنى صيا الحب احب مقتنى وكأسي ميامن عن الحسن حبت

فحين نلاحظ تعقيد المعنى في اول بيت من أبيات القصيدة سيما حين نصل الى قوله « وكأسي ميامن عن
 الحسن حبت » ، نكت ان الفارض لا يتردد في هذا ان يقول ان صياحه دمه لله دونه عليه ، ثم نلاحظ قراءة
 هذه القصيدة نجد الشاعر يجربنا في البيت الثاني بأنه اوهم اصحابه بأن سرور صهره صرح أن
 يشرب من شرابهم : ناداهم صعب انه شرب شرابهم به سر سرى في انتكاشي بنظره
 ولما نرى هذه القصيدة في وصف الخمر بأبيات تدل على انه يستطيع ادراك ما يلجأ اليه الشاعر :

وبالمدق استغيت عن قدح من شاملاً لادن شوي هو شوي

فقر حانه كرى حانه كرى لفتة هم تم لي كتم الهوى مع شكري

ولما انتفى صغري تبا صغرت وصلح ولم لغيتي في سطر قبض حشمة

وبعد ان ينتهي الشاعر من وصف هذه الخمر بهذا السلوب الذي ارتضاه لنفسه ، يتقل الى لقر
 فيجمع مع قلبه الاوصاف التي فعلها المحبون على انفسهم من قبل ، وذلك أن حب المحبوة لهذا الحب شيئاً
 من حياته الباقية ، وأن الحب الذي يحمله قلبه يستطيع ان يدرك الجبال بما فيك طويلاً الذي لهم الاغصان

عليه مرسى عبد السلام ، وإن رموعه هي التي نلت على الحب الذي كينه قلبه
 هي قبل يفتي الحب من بقة ، إراك بها في نظرة المسفت
 من على سمى بل إن صفتك إراك من قبل لغري لذت
 ولوان ما بالجمال ، وكان طور سينا بها قبل التجلد لكنت
 صوري عبرة نتية رهوي نتية ، حرق أدواها في أدركت
 وبعد هذا ينتقل الشاعر إلى المبالغة ، والوعراق ، فيعبر عن رموعه الكثيرة بألا كانت سنية في الجوفات
 نوح ، رموعه قلبه في آثارها ، الخيل الجهم ، وأنه لولا رموعه لحرقة رفرقة ولولا هذ
 الرفرقة لحرقة الرمع :

لظرفاته نوح عند نوح ما دمي ، رايقار يراه الخيل كلوعتي
 ولولا زفيري اعزقتي ارمي ، ولا رموعه احرقتي زفيري
 رحنى ما يعقوب سب الله ، ركل بل ايوب بعض يني
 وما عر ملاقى الادل عتقوا الى الردى ، بعض ملاقية اول محنتي
 ولكن الشاعر هنا تنافده روجه الصرفية فيعد الى ذكر بعض تعابير الصوفية فكلمة «الدليل» ، وتفسير «نادمت ليل»
 و «ظهرت له وصفاً» ، و «اخبر عنى لظاهراً» ، كل هذه تعابير لا ندرى ماذا يريد بها الشاعر في أبياته التالية :

فلم سمعت اذن «الدليل» تأ وهي ، لا تدم إسقام محبي اضرت
 «نادمت في سكر الخمول» مراتي ، جملة اسري وتصيل سيري
 «ظهرت له وصفاً» ذاتي حيث لا ، يراها ليلوي من صدى الحب ابنت
 «فأخبر عنى لظاهراً» ، بياض امرى وصرى كل فرق

ولكن الشاعر قد شى نفسه في بعض الأحيان فهو ينكر على نفسه أنه من أصحاب الخمول ، وأنه ليس من المؤمنين
 بهذه الفكرة ، ولكن ماذا عسى يستطيع القارئ ان يفهم من هذه الأبيات :

فكلهم مكروه الردى في عادي ، كلاني ومنه اخفاء هبله خفيتي
 وما بين شوق واستياق فني في ، تولد مجر ادخل محضرة
 فكلنا في من فناءك رد في ، فوادي لم يرفق الى دار عذرة
 وبعد فاني نيك قاتن سفسا ، ونيق في سبق رومي نيتي

ولكن الشاعر يفتي ، فيجربنا في صراحة لا تقبل الشك ان حبه موجه لله تعالى ، فهو سبحانه يظهر لنا عراص
 الاوصاف فيجعل البوي ملوق لذيذة في نظرة ، ولكنه يحول بينه وبين تلك البوي :

وما هو إلا أن ظهرت لنا ظري بألوان وصفات على المن ارتبت
فليت لي البؤس فليت لي بها وبني فطانت منه جعل حمية
والشاعر لا يستطيع أن يبعد كثيراً عن أسلوبه الصوفي فهو يعود إليه بين حين وآخر سداً للتغايير الصوفية
«الرياضة» «الكشف» «الحجب» «التجريد» «التمتع» :

وهذه من نفسي بالرياضة ذاهباً إلى كشف ما عجب العوائد فطنت
وجردت في التجريد عزمي تنهداً رأيت في نسكي استجابة دعوتي
وكيف وباسم الله ظل اتحمق تكون الأحيف الفضول مخيفتي

رقد جرت عادة المتصوفين أن يفقدوا أموراً كثيرة لهم عن انظار الناس ، فالصفات والمزايا التي يتبع بها الصوفي
يريد أن تكون مجهولة لدى غيره ما دامت معلومة لدى الله فالشاعر هنا يطلب إلا يسمى مريداً كما يطلب
الغناء كما لا يتكلف بها لدى الناس وإن لا يطبقوا عليه اسم العارف ، ولكن مبرراته تكون غامضة
بعض الأحيان مثل « نحن رعي مراداً لا جذباً فقيرٌ لعصقي » و « اصغر أتباعي على عين قلبه عرائس ابهار
المعارف زنت » :

ولا تبني فيها مريداً فمن رعي مراداً لا جذباً فقيرٌ لعصقي
والخ الكنى عنى ولا تلغ الكنا ^{فهي من آثا - صيغة صفتي}
ومن لقي بالمعارف ارجع فجان تر السابز باللقاب في الذكر تمت
ناصر أتباعي على عين قلبه عرائس ابهار - المعارف زنت

ولازم أن نقف طويلاً عند ابن الفارض فمن شعره مجال واسع للقول والقيق ، ولشغل الشاعر آخر له
قصيدة صوفية لقد من احسن ما قيل في القول ، ذلك ان عر صر استهزؤري ، فهو يمدك في قصيدة ^{الاولى}
القصص ، ويتعد عن التقييد وذكر التغاير المستغلقة على الفهم ، بل يعود الى ارضع الالفاظ وارقل
ديك اسلوباً فيه بسولة والاقصاح :

لمعت نارهم وقد عمى السيل وظل الحادي وتناه الدليل
فتأملنا وفكرى من السيل عليلٌ ولوط عيني كليل
وقد أدى ذاك الغرادر المعنى وغرأي ذاك الغرام الرض
قلت لما بدت لصعبي ليلته لكذه النار - نار ليلى فيلدا
فرمأ فمها لحاظاً صميمات فمات فمأساً فيرهل
ثم عادوا الى الملام وقالوا فليت ما رأيت ام تحيل

فحببتهم وعلت إليها والهوى مركبي وسوقى الزميل
 ريلاد القارئ لا يخفى بأن هذه قصيدة صوفية ، وقد اقتبنا قطعة منها ، وعين غفنى في قراءتها فيها كلا
 على هذا النمط من الصدفية والجمال .
 ولأبي الحسن بن الصباح قصيدة من هذا القبيل ، ولكنه كان لما يخاطب حمام الأديب على طريقة
 السابقين من المعتز الذين كانوا يقبضون اصوات الحمام بكاءً لهم لما كانوا في البلاء واللوعة :
 أيتها حمام الأديب من فقد الله وأصبر عنه كيف ذلك يكون
 وما لي لا أبكي وأندب ماضى ودار الهوى من الصنيع وفي
 وقد كانه قلبى قبل حبك قاسياً وانه دامت الهوى سليل
 الاصل على لحنه المبرح مسدداً وهل لي على الوعد التبريد
 نستطيع ان نلمس الواناً رائعة من الغزل في شعر الصوفي ، لا سيما حين يميل أدللك الشراء الى الموضوع
 في ساليهم ، ولا يقتصر الأمر على الأدب العربى وحده ، ففى الأدب الفارسى ، الوان من هذا الغزل
 قد تنفق ما في الأدب العربى ، وقد نقول لنا سيكون بعد هذه الروائع ، مما قول جلال الدين الروم :^(١)
 جاء حبيبى قرأ لم تر لهسا ولن ترى له ميلا . يظان او حالما
 متوجهاً بقطاع خالد لا يثنيه سيل اى سيل
 وحين بدأ قلبى وحيثاً صعبه باب الكثرم
 استعت الخمر صدى وملأت نواضى
 فلما امتلأت غنى بصورته صاح من باطنى صوت :
 هنا ففت يارب الخمر والكاس الدائمة
 ووجدت الدين الرومى يرى ان حب الروح لله هو حب الله للروح لهذا الحب الذى يصل الى حد الفناء في الله :
 يا روى محبة عندك من طرف الى طرف فما رأيت ضلك غير المحبوب
 يا روى لا تسبيح متروكاً ان قلت أنت صر
 وهما ما فانا نستطيع ان نلمس هذا الحب الالهى في الأدب العربى والفارسى في ساليهم فمختلفة
 وصور مقددة ، ويستطيع الباحث ان يجد اتفاقاً واسعة للبحث اذا توافر له الوقت للبحث في
 مثل هذه الموضوعات .

(١) الصوفية في الاساطير ص ١٠٢

الخاتمة

لا فطنا في بحثنا الأساليب التي عمد إليها المتقنون في تضادهم فكانوا على أقسام : فمنهم أصحاب مذهب الدول وعلى رأسهم المذبح ، فهو لا يرى أن روح الله قد انتمت بأرواحهم ، وإن أنفسهم قد فشت في ذات الله ، والاستغراق في شدة هذا القناد صوغاً في الحقائق لدى صولار التزيين للمقوّنات فدا تقوم بين المقوّن وبين العالم - وإن بلغ المقوّن مرحلة القناد - صلة تامة ، فهو يميز فيهم من أنفسهم حتى فهم قد ماتوا من حيث أنهم أفراد ١١١ وإذا كانت قصائد المذبح - في الأدب العربي - تدور حول هذه الأضواء فإن جدول الدين الرومي في الأدب الفارسي أصحاب القند المعنى في هذا الصغار ، فهو يرى أنه مجهول عن نفسه هو لا يدين بأحد إلا بديان المتعارفة ولا ينسب إلى بلد من البلدان أدلة من المثل وإنما هو في صلات وراء الحقائق حيث تنزهت روحه وأسقت ففتحت روح محبوب الواحد من جديدها ، أما المجهول في نظر الأفكار الخمول بأنما جدول الله في الآلات ، وإن « القناد » هو فقدان الذات وصدور مادة الجسد ، أما النوع الآخر من البشر فهو الذي يدور حول الحب الإلهي وتكراره فيه الفاظ « لعمري » و « الرهايم » و « الخزة » و « السوة » و « الوجد » وغيرها مما هو مشترك بين هذا الحب الإلهي والحب المألوف لدى المتقارب غير الصوفي . وقد لاحظنا أن فريقاً من هؤلاء استاء لغير ذلك المعروض في تعابيره والفاظه كآبن الفارص ، وأن فريقاً آخر يميل إلى الرصوخ والسهولة كالشعرزور ونحن لا نعتقد مع الدكتور زكي مبارك من يرى « أن الأدب الصوفي صواب الفكرة ، الأدب المحمل بالخيال الفلسفية » وأنه كالطعام الدسم الذي لا يحمله غير أمعاء الأقوياء فهو كالنور الذي تعجز عنه الأعين الرمد ولا يستطيع مواجهته غير أصحاب البصائر والأبصار ١٢ ، والذي أراه أن الأدب الصوفي ليس من العنق بالدرجة التي يذهب إليها الدكتور فزكي مبارك ، وإذا كانت التعابير الغامضة والأساليب المعقدة التي لها إلى أولئك المقوّنون قد أوجت إلى مؤلف القصور الإسلامي كهذه الفكرة ، فإني أظن أنه لو درس حياة أولئك المقوّنين من الوجهة الثقافية لبتين له أن تصوفهم يرجع إلى أوضاعهم المعاطفية ، لا إلى المستوى الثقافي الذي بلغوه ، فلو استطع أن نجد في الأدب الصوفي ما يجده في المجال الفلسفي أو العلمي من آراء منظمة ومذاهب متبعة وإنما هنالك تطلمات وإيمان بأمر صواب ما يكره عن المنظم والعلم في كثير من الأحيان .